ضبط كلمة (البِـنّ) التي جاءت في كلام الإمام محمد بن الحسن الشيباني -رحمه الله- وبيان معناها

الحمد لله؛ أما بعد:

فمن جميل ما أُثِرَ عن الإمام أبي عبد الله الشيباني، صاحب أبي حنيفة -رحمهما الله-: ما نقله إلينا الإمامُ الشافعيُّ - رحمه الله- حيث قال: قال محمدُ بنُ الحسنِ [الشيبانيُّ] : «لَا يُفْلِحُ في هذا الأَمرِ إِلا مَنْ أَحْرَقَ البِنُّ قَلْبَهُ».

أخرجه أبو نعيم في (حلية الأولياء) (9/ 119)، وابنُ عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) (1/ 412) رقم (601)، والخطيبُ البغداديُّ في (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) (1/ 156) رقم (74-ط الخطيب)، أو (1/ 105) رقم (73-ط الطحان)، أو (1/ 105) رقم (73- ط أبي العينين)، وغيرُهم؛ وهو صحيحُ الإسنادِ.

قال الخطيبُ البغدادي -رحمه الله- عقب هذا الأثر: «ولن يصبرَ على الحال الصعبة إلا من آثَرَ العلمَ على ما عداه، ورَضِيَ به عِوَضا من كلِّ شيءٍ سواه».

قال أبو عبد الخالق: وقع اضطراب كبير جدا في ضبط كلمة (البن)؛ فتحرفت في بعض الكتب، وتصحفت في بعضها الآخر؛ وذهب كلُّ مصححي الكتب ومحققيها –فيما وقفت عليه– كلَّ مذهب؛ وشرَّقوا وغرَّبوا، ولم يهتدِ واحدٌ منهم –فيما وجدت وقرأت– إلى الضبط الصحيح لهذه الكلمة؛ وهذا من العجائب والغرائب، خاصة أن عددا منهم من حملة الدكتوراة، وشَغَلُوا مناصبَ عليا في بعض الجامعات المعروفة المشهورة، ولكن أبى اللهُ – سبحانه وتعالى– العصمةَ إلا لأنبيائه ورسله، وأبى أن يتم كتابا إلا كتابه الذي يتعهد بصونه وتكفل بحفظه؛ فلا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.

والضبط الصحيح لهذه الكلمة هو بكسر الباء وتشديد النون؛ وهو الشحم.

قال الفراءُ: «البِنُّ: الطِّرْقُ مِن الشحم».

نقله الأزهريُّ في (تهذيب اللغة) (15/ 337)، وينظر: (التكملة والذيل والصلة) للصغاني (6/ 196)، و(القاموس المحيط) للفيروزأَبادي ص (1181)، و(تاج العروس) للزَّبيدي (34/ 284)، و(المعجم الاشتقاقي المؤصل) لجَبَلٍ(1/ 179).

ويقال للدَّابَّةِ إذا سَمِنَتْ: ركبها بِنٌّ على بِنٍّ: أي: طِرْقٌ على طِرْقٍ.

ينظر: (المحيط في اللغة) لابن عباد (10/ 388)، و(التكملة والذيل والصلة) للصغاني (6/ 196).

وَيُقَالُ: «هَذَا بَعِيرٌ مَا بِهِ طِرْقٌ؛ أَي: سِمَنٌ وشَحْمٌ».

ينظر: (الغريب المصنَّف) (3/ 935)، و(التقفية) للبندنيجي ص (598)، و(تهذيب اللغة) للأزهري (9/ 12)، و(لسان العرب) لابن منظور (10/ 223)، و(تاج العروس) للزَّبيدي (26/ 69).

قال أبو عبدالخالق: ولابد -هاهنا- من تنبيهات:

التنبيه الأول- من عجيب ما وقفت عليه من بعض المحققين! وبعض من شرح هذه الكلمة: أنهم ضبطوا كلمة (البن) بالضم؛ وحسبوه البُن الذي يصنع منه القهوة!!

التنبيه الثاني- بعض النساخ -كما في النسخ الخطية- ضبطها: (اللبن)!! وحسبها الشرابَ المعروفَ!

التنبيه الثالث- أن بعضهم أبعد جدا وشرَّق وغرَّب فقال -عفا الله عنه-: «الذي فهمته من تفسير (البن) أنه خبز يابس يبل بماء ثم يؤكل». ونسب كلاما لبعض أهل العلم -رحمه الله- دون عَزْوٍ! ولا أدري من أين جاء به؛ وهذا الكلام مستبعد أن يقوله هذا العَلَمُ، والله أعلم.

التنبيه الرابع- حرفت الكلمة في (الجامع) للخطيب البغدادي (1/ 156) رقم (73) من تحقيق الدكتور الخطيب -عفا الله عنه- إلى (البُرّ)؛ هكذا أثبتها المحقق! ومما زاد الطينَ بِلَّة = تعليقُه عليها، حيث قال: «في الأصل (البز)، وقد تقرأ (البن)، ولكن لا معنى لها، وما أثبته أرجح.

والبُر –بضم الباء-: القمح، يريد به: الخبز؛ أي: إن أكل الخبز من غير إدام أقرح جوفه.

ويؤيد هذا ما ورد في الفقرة الثانية عن الإمام شعبة بن الحجاج.

وقد يكون المراد بها: اللبن؛ كما قال القاضي أبو يوسف –رحمه الله-:«**لقد** طلبنا هذا العلم وطلبه معنا من لا نحصيه **كثرة** فما انتفع به منا إلا من دبغ اللبن قلبه، وذلك أن أبا العباس لما أفضيإليه الأمر؛ بعث إلى المدينة، فأقدم عليه عامة من كان فيها من أهل العلم، فكان أهلنا يعدون لنا خبزا يلطخونه لنا باللبن، فنعدوا في طلب العلم، ثم نرجع إلى ذلك، فنأكله، فأما من كان ينتظر أن تصنع له هريسة أو عصيدة؛ فكان ذلك يشغله حتى يُفَوِّته كل ما كنا نحن ندركه»، «جامع بيان العلم وفضله» (97/1)».انتهى كلامه –غفر الله له-.

قال أبو عبدالخالق ولي على كلامه تعقبات:

التعقب الأول- أن قوله عن كلمة (البن): لا معنى لها؛ بناه –والله أعلم- على المعنى المتبادر للذهن وهو القهوة! وهذا غير صحيح ألبتة.

التعقب الثاني- أن ما رجحه وجعله الأرجح هو المرجوح؛ كما سبق وبينت، وكما سيأتي –بُعَيْدَ قليل-.

التعقب الثالث- جعله أثرَ الإمامِ شعبةَ –رحمه الله- مؤيِّدا لكلام الشافعي –رحمه الله- وهذا غير صحيح؛ لأن لا صلة لكلام شعبةَ بكلام الشافعي؛ فشعبةُ قال: «إذا كان عندي شيء من دقيق وطُن من قصب؛ فلا أبالي ما فاتني من الدنيا»؛ فما علاقة هذا بذك؟!

التعقب الرابع- أما قوله: «وقد يكون المراد بها: اللبن»؛ فبعيد جدا –لفظا ومعنى-؛ فمن متى كان اللبن –شراب الفطرة- محرقا للقلب ومقرحا له؟! واحتماليته الدكتور الخطيب بناها على تحريف –كما سيتبين في التعقب الخامس-.

التعقب الخامس- احتمل الدكتورُ الخطيبُ أن تكون الكلمة هي (اللبن)؛ واعتمد في ذلك على أثر القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة –رحمهما الله-، وهذا الاحتمال غير صحيح؛ وبعيدٌ كذلك –لفظا ومعنى- لأكثر من سبب؛من ذلك:

الأول- أنه لا يعرف –فيما أعلم- أنهم كانوا يلطخون الخبز باللبن؛ وإنما كان يلطخونه بالأُدم والشحم والسمن، ونحو ذلك؛ وهذا عليه دلائلُ وشواهدُ؛ من ذلك: الحديثُ الذي رواه مسلمٌ في صحيحه عن أنس بن مالك –رضي الله عنه-؛ وفيه: «فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: هلمي، ما عندك يا أم سليم؟ فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم-، فَفُتَّ، وعصرت عليه أمُّ سليم عُكة لها، فأدمته».

الثاني- أن هذا الاحتمال مبني على تحريف وقع في كتاب «جامع بيان العلم وفضله» للحافظ ابن عبد البر –رحمه الله-؛ وهو موجود في النسخ الخطية، وبعض المطبوع، لكن الصواب في الكلمة هو: (البن)، كما أثبتها بعض محققي الكتاب، وهو أبو الأشبال الزهيري، ينظر الجامع بتحقيقه (1/ 411) رقم (599).

التعقب السادس- زاد المحققُ لفظ (لقد) في أول كلام القاضي أبي يوسف –رحمه الله- ، وهي لم ترد في النسخ التي عندي من كتاب الجامع لابن عبد البر –رحمه الله-.

التعقب السابع- سقط من نقل الدكتور كلمة (كثرة) بعد كلمة (لا نحصيه)، وهي موجودة في كتاب «الجامع».

التنبيه الخامس- آخر طبعة وقفت عليها من تحقيقات كتاب (الجامع) للخطيب البغدادي –رحمه الله- طبعة الشيخ أبي العينين –وفقه الله-؛ وهي فيها بلفظ (البن) غير أن المحقق لم يضبط حركة الباء المشكِلة!، وضبطَ حركةَ النون التي لا إشكال فيها ألبتة! لأنها جاءت على الفاعلية، وقد علق المحققُ في الحاشية (1/ 105) قائلا: «كذا في المخطوطة، وقد تصحفت في النسخ الثلاثة[1] المطبوعة إلى «البر»».انتهى.

التنبيه السادس- تحرفت الكلمة في كتاب «الحلية» لأبي نعيم من (المكتبة الشاملة) إلى (البين)!! لكن جاءت على الصواب في النسخة المطبوعة التي عندي، فلما رجعت إلى بعض النسخ المخطوطة التي عندي؛ وهي المصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس؛ وجدتها قد جاءت في اللوحة (149) وجه (أ) على الصواب (البن) غير أن الناسخ ضبط الباء بالضم! والله المستعان.

([1]) قال أبو عبد الخالق: كذا قال؛ والصواب: الثلاث.

قال أبو عبدالخالق: هذا ما تهيأ إعداده وتَم إيرادُه؛ فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت؛ فأستغفر الله –عز وجل– وأتوب إليه.

وصلِّ اللّٰهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوايَ أن الحمدُ لله رب العالمين.

وكتب: أشرف بن صابر قبل أذان صلاة العصر من يوم الخميس؛ (16 – المحرم- 1445 هجرية).